الاعتذاريات الصهيونية:والسمات الخاصة بالجيب الصهيوني ليست أمرا متصلا بجذوره أو بخصائصه ا؟وضوعية فحسب؟ بل إن خصوصيته لتعبر عن نفسها؟ ور؟ا بطريقة أكثر وضوحا؟ في الاعتذارات الصهيونية؟ وفي الطريقة التي يسوغ بها الصهاينة الحقوق ا؟زعومة التي خلعوها على أنفسهم. وقد قال الكاتب آموس كينان: »إن تفرد الصهيونية لا يقع في استصلاح الصحاري؟ وإ؟ا في الكذبة الحلوة التي تصحب تلك العملية«)٢٦(. ولكن لنبدأ بعرض الاعتذاريات الصهيونية الاستعمارية العامة؟ أي الاعتذاريات التي لا تصدر من منطلق أو تسويغ صهيوني خاص؟ وإ؟ا تصدر من منطلق استعماري عام؟ ثم نتناول بعد ذلك الاعتذاريات الخاصة والقاصرة على الاستعمارقامت الجيوب الاستيطانية بتقد؟ اعتذاريات مفصلة لتسويغ وجودها الشاذ في كل من آسيا وأفريقيا. وفي بعض و؟ا سكاني غربي أجنبي في قارتي أفريقيا واسيا؟ وقد وصف اللورد بلفور عملية الاستعمار الاستيطاني بأنها تعبير عن »حقوق وامتيازات الأجناس الأوروبية« واعتبر عدم ا؟ساواة ب؟ الأجناس حقيقة تاريخية واضحة)٢٧(. أما ريتشارد كروسمان؟ فكان يرى أن الاستعمار الاستيطاني الأوروبي يصدر من منطلق حق الرجل الأبيض في جلب الحضارة إلى »السكان الأقل تحضرا في آسيا وأفريقيا؟ وذلك عن طريق الاحتلال الفعلي للقارت؟؟ حتى لو أدى ذلك إلى إبادة السكان الأصلي؟«)٢٨(؟ ولا شك أنها طريقة غريبة ومدهشة أن تدخل الحضارة إلى شعب عن طريق إبادته. أما ماكس نوردو فقد اقترح؟ حتى قبل تبنيه للرؤية الصهيونية؟ و؟شيا مع نظرته العنصرية الاستعمارية؟ توط؟ العمال الأوروبي؟ العاطل؟؟ ليحلو عل »الأجناس الدنيا« التي لا تستطيع البقاء هذا وقد قدم الزعيم وا؟فكر النازي ألفريد روزنبرج حجة ؟اثلة لإثباتبرائه؟ خلال محاكمته في نورمبرج؟ مؤكدا للقضاة العلاقة العضوية ب؟ العنصرية والاستعمار. إذ أشار إلى أنه عثر على لفظ »سوبرمان« لأول مرة في كتاب عن حياة اللورد كتشنر؟ الرجل »الذي قهر العالم«. وب؟ روزنبرج أيضا أنه صادف عبارة »العنصر السيد« أو »العنصر ا؟تفوق« في مؤلفات عالم الأجناس الأمريكي ماديسون جرانت والعالم الفرنسي لابوج. ثم أشار أخيرا إلى أن هذا الضرب من التفكير الانثروبولوجي ليس سوى اكتشاف بيولوجي جاء في ختام أبحاث دامت ٤٠٠ عام)٣٠(؟ أي أن النظرية العنصرية؟ ونظريات التفوق العرقي؟ هي جزء أصيل من فكر الحضارة الغربية الحديثة؟ ومع ازدياد الحاجة إلى الأسواق والأراضي؟ وازدياد حدة الأزماتالاقتصادية والد؟وجرافية في أوروبا؟ ازدادت النظريات العنصرية حدة وعمقا. وقد ب؟ مؤلف مدخل »العنصرية« في دائرة ا؟عارف البريطانية أنه ليس من قبيل ا؟صادفة »أن العنصرية ازدهرت في وقت حدوث الوجه الثانية الكبيرة من التوسع الأوروبي والتكالب على أفريقيا«.)٣١(وكما بناالأيديولوجية الصهيونيةالإستعمار الصهيونيمن قبل؟ حاول الصهاينة التعلق بذيل الاستعمار دائما؟ فليس غريبا أن نجدهم ينتسبون إلى الجنس الأبيض؟ حتى يتمكنوا من ا؟شاركة في ا؟زايا والحقوق التي منحها الرجل الأبيض لنفسه؟ وحتى يساهموا في حمل عبئه الخماري الثقيل. فنجد أن عالم الاجتماع الصهيوني)آرثر روب؟)١٨٧٦- ١٩٤٣(؟ يؤيد في دراسته يهود اليوم النظرية التي تؤكد مواطن الشبه الجسماني ب؟ الجنس اليهودي وأجناس آسيا الصغرى؟ ولا سيما الأرمن ; إذ إنه يفضل-على حد قوله-أن يرى اليهود أعضاء في »الجنس الأبيض«؟ و يرحب بأية محاولات نظرية ترمي إلى »توجيه الضربات للنظرية السامية«)أي انتساب اليهود للعرق السامي أو الحضارة السامية()٣٢(. ويرى روب؟ أن الاختلاف العنصري ب؟ اليهود الأوروبي؟ ليس كبيرا إلى درجة تؤديإلى التشاؤم من ثمار الزواج المختلط ب؟ أعضاء الجنس؟)٣٣(. وثمة اتجاه في التفكير الصهيوني يقصر لفظ »يهودي« على اليهود البيض وحدهم؟ أي الاشكناز. وقد أفصح روب؟ عن هذه الفكرة بصراحة بالغة في كتابه الآنف الذكر؟ حيث يناقش أثر الحركة الصهيونية على وعي كثير من »اليهود الغربي؟«؟ وكيف أن محاولات الاستيطان الصهيونية كانت تستهدف-أساسا-تجنيد اليهود الأوروبي؟؟ لا اليهود الشرقي؟؟ على الرغم من أن »تجنيد وتوط؟ اليهود الشرقي؟)من اليمن والغرب وحلب)سوريا(والقوقاز(في ا؟ستعمرات الزراعية كان أكثر سهولة ويسرا«)٣٤(. ولكن على الرغم من أن المخطط الصهيوني الواعي استبعد اليهود الشرقي؟؟ فإنهم؟ مع هذا؟ قد »تسربوا إلى فلسط؟ فعلا«؟ وهو الأمر الذي لم يجد عنده القبول أو الرضا ; لأن »الوضع الروحي والثقافي لهؤلاء اليهود كان منخفضا إلى حد أن المجرة الجماعية لا بد أن تؤدي إلى خفض ا؟ستوى لحضاري العام لليهود]الأشكناز[في فلسط؟؟ وستؤدي إلى نتائج سلبيا كثيرة«.)٣٥( )وبعد مضي نصف قرن ردد أبا إيبان الكلمات نفسها وقد ذكر روب؟ قارئه بأن الاشكناز؟ بسبب طبيعة حياتهم في أوروبا؟وبسبب الاضطهاد الذي تعرضوا له؟ قد اجتازوا »عملية طويلة من الاختيار« وصراعا مريرا من أجل الحياة؟ وهو صراع »لا يستطيع البقاء فيه سوى الأكثر ذكاء والأكثر قوة«. ولذلك ؟ت المحافظة على »ا؟واهب العنصرية الطبيعية العظيمة« التي يتمتع بها اليهود بل وتقويتها. وقد ساهمت عوامل أخرى أيضا في تصفية غير ا؟وهوب؟؟ وفي الإبقاء على »الأكثر

Summarized by © lakhasly.com

موهبة« الأمر الذي شكل ضمانا أكيدا على »التقدم الفكري للجنس« اليهودي. وبعد ذلك نبه روب قارئه إلى الحقيقة القائلة بأن عملية الاختيار العنيفة هذه التي تتم ـ أساسا ـ عن طريق الاضطهاد والعزل)أي الجيتو(لا تنطبق إلا على الأشكناز وحدهم ; ولذلك وعلى الرغم من اشتراكهم في الجذور العرقية مع السفارد فإن الصراع من أجل البقاء أدى إلى تفوق الأشكناز »في النشاط والذكاء والقدرة العلمية على السفارد وعلى اليهود العرب«.٣٦(لكل ما تقدم يرى روب أن الحقوق التي يدعيها الرجل الأبيض لنفسه لا تنطبق على السفارد وإنما تنطبق على الأشكناز وحدهم فهم وحدهم القادرون على حماية عبء الرجل الأبيض وعلى اغتصاب آسيا وأفريقيا)ولا يمكن للسفارد أن يحظوا بهذا الشرف الحضاري إلا بسبب الضرورة الاقتصادية الملحة كأن يسمح لهم بالاستيطان في الجيب الصهيوني لأداء بعض الأعمال الشاقة التي يقوم بها العرب وبالأجر نفسه الذي يتقاضاه العرب وعلى شرط أن يأتوا في أعداد صغيرة(.)٣٧(إن هذه الرؤية للمستعمر الصهيوني بوصفه رجلا أبيض موضوعة أساسية في الاعتذاريات الصهيونية فتوردور هرتزل كان يؤمن بأن الإنسان بتفوق الرجل الأبيض وكان مدركا بأن الإدراك الضرورة التنسيق بين الخطة الصهيونية الاستعمارية والمشروعات الاستعمارية المماثلة حتى لا تتعارض الحقوق المختلفة »للبيض«. ولذلك قرر الزعيم الصهيوني قبل أن يجتمع بتشامبرلين أن من الضروري قبل مناقشة الخطة الصهيونية أن يبين لوزير المستعمرات البريطاني أن هناك »بقعة ما في ممتلكات الإنجليزية ليس بها حتى الآن أناس بيض«)٣٨(. وقد بين الروائي الإنجليزي والمفكر الصهيوني إسرائيل زانجويل)١٨٦٤-١٩٢٦(في خطاب له أمام المؤتمر الصهيوني السادس)١٩٠٣(أن الاستيطان الصهيوني في شرق أفريقيا سيكون وسيلة مضاعفة »عدد السكان البيض« التابع بريطانيا هناك.)٣٩( )ولكن يبدو أن المستوطن البيض هناك لم يقبلوا تعريف اليهودي على أنه رجل أبيض لأنهم عارضوا الاستيطان الصهيوني(. وقد حاول الصهاينة تسريع الاستعمار الصهيوني بالرجوع إلى فكرة الأيديولوجية الصهيونية الإستعمار الصهيوني التفوق الحضاري الغربي وانطلاقا من هذا التصور تحدث هرتزل عن الإمبريالية على أنها نشاط نبيل الهدف منه جلب الحضارة إلى الأجناس الأخرى التي تعيش في ظلام البدائية والجهل)٤٠(. وقد كان هرلزل ينظر إلى مشروعه الصهيوني من خلال ذلك المنظار الغربي حين كتب رسالة إلى دوق بادن يؤكد له فيها أن اليهود عندما يعودون إلى »وطنهم التاريخي« وإنهم سيفعلون ذلك بصفتهم »مثل للحضارة الغربية« وأنهم سيجلبون معهم »النظافة والنظام والعادات الغربية الراسخة إلى هذا الركن البوبؤ والبالي من الشرق« وسيقوم الصهاينة بصفتهم من المؤيدين المتحمسين للتقدم الغربي مد خطوط السكك الحديدية في آسيا التي تعد الطريق البري للشعوب المتحضرة.)٤١(ولقد أكد هرتزل أن الدولة اليهودية ستكون »جزءا من حائط يحمي أوروبا في آسيا ويكون حصنا منيعا للحضارة في وتؤكد كثير من تصريحات الصهاينة أنهم لا يعتبرون أنفسهم كيانا عنصريا منفصلا فحسب بل يعتبرون أنفسهم أيضا أعضاء في الجنس الأبيض. ففي كتاب بعث إسرائيل ومصيرها بين جوريون عددا من أوجه التشابه بين الصهاينة وغيرهم من المستعمرين البيض. وفي عام ١٩١٧ كتب الزعيم الصهيوني مقالا تحت عنوان في »يهودا والخليل« وصف فيه المستوطن الصهاينة في فلسطين لا بوصفهم عاملا في هذه الأرض فحسب بل على أنهم غزاة لها »لقد كنا جماعة من الفاتح«. وفي مقال آخر بعنوان »الحصول على وطن قومي« كتبه عام ١٩١٥ قارن بن جوريون بين الاستيطان الصهيوني والاستيطان الأمريكي في العالم الجديد مستحضرا صورة المعارك العنيفة »التي خاضها المستوطنون الأمريكيون ضد الطبيعة الوحشية وضد الهنود الحمر الأكثر وحشية«.)٤٤(ولما له مغزاه أنه ساوى بين الطبيعة والهنود بل وضعهم في مرتبة أدنى إذ هم أكثر وحشية منها. هذه المساواة تؤدي إلى تجريد الإنسان وتحويله إلى مجرد جزء من دورات الطبيعة الأمر الذي يجعل إبادته أو نقله أمرا مقبولا بل مرغوبا. أما وايزمان فقد فضل في كتاب المحاولة والخطأ أن يقارن بين المستوطن الصهاينة من جهة والمستوطن الفرنسي في تونس والمستوطن البريطاني في كندا واستراليا من جهة أخرى.)٤٥(كما أظهر أيضا تعاطفا ملحوظا إزاء المستوطن البيض في جنوب أفريقيا.)٤٦(ونفس الاتجاه العنصري الذي يسوغ الاستعمار والعنف والإبادة باسم التقدم يتضح في مذكرة بعث بها وايزمان إلى الرئيس ترومان في ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ يشرح له فيها أن المجتمع الصهيوني في فلسطين يضم ـ أساسا ـ فلاح متعلم وطبقة صناعية ماهرة تعيش على مستوى عال ثم قارن بين هذه الصورة »المشرقة« والصورة الكئيبة للمجتمعات الأمية الفقيرة)في فلسطين()٤٧(. وبطبيعة الحال لم يحاول وايزمان أن يشرح للرئيس الأمريكي السبب الكامن وراء هذا الوضع ولا السبب الخفي وراء عدم بزوغ فجر الحضارة بعد خمس عاما من الاستعمار البريطاني والصهيوني.ولكن على الرغم من شيوع أسطورة اليهودي الأبيض وحقه في استعمار فلسطين فإنها لا تحتل مركز الصدارة في

Summarized by © lakhasly.com

اﷺصطلح الصهيوني; إذ أن الاعتذاريات الصهيونية تستند بصفة جوهرية إلى فكرة اليهودي الخالص)التي سنعرض بالتفصيل في الفصل الثامن(. واليهودي الخالص غير مرتبط بأي جنس أو حضارةﷺ شرقية كانت أو غربيةﷺ إذ أن اليهود حسب هذا التصور يشكلون جنسا مستقلا أو أمة مستقلةﷺ وليسوا مجرد سلالة من سلالات الجنس الأبيض أو الخمارة الغربية. وفكرة اليهودي الخالصﷺ مثل فكرة الرجل الأبيض اﷺتفوقﷺ ﷺنح اليهود حقوقا معينة مقدسة وخالدة لا تتأثر بأية اعتبارات أو مطالب تاريخية. ولا ﷺكن حتى للفلسطينيﷺ أنفسهم أن يكون لهم حقوق أقوى أو حتى ﷺاثلة لحقوق اليهود في فلسطﷺ. ويتضح هذا التصور في كلمات الحاخام ج. ل. هاكوهﷺ فيشمان ميمونﷺ أول وزير للشئون الدينية في إسرائيلﷺ الذي أكد أن الصلة بـﷺ الشعب اليهودي وأرضه مقدسة أو هي سر من الأسرار الدينية.سماوية وأبدية«.)٤٨(وفي مجال الدفاع عن هذه الأسطورةﷺ نصح مناجم بيجن بعضاﷺستوطنﷺ الصهاينة عام ١٩٦٩ أن يعيشوا جغرافيا في فلسطﷺﷺ مع مواصلة144الإستعمار الصهيونيالتظاهر والاعتقاد والزعم بأنها أرض إسرائيل. »إذا كانت هذه هي فلسطﷺ وليست أرض إسرائيلﷺ إذن فأنتم فاتحونﷺ ولستم مزارعﷺ يفلحون الأرضﷺ أنتم إذن غزاة. إذا كانت هذه فلسطﷺ فهي تنتمي إذن للشعب الذي عاش هنا قبل أن تأتوا إليها. لن يكون لكم حق العيش فيها إلا إذا كانت »أرض إسرائيل«.٤٩(وإذا أصبحت فلسطﷺ الأرض اﷺقدسة أو ارض يسرائيل تصبح حقوق اليهود الخالدة سارية اﷺفعول عليهاﷺ فيصبح من اﷺمكن الادعاء بأن فلسطﷺ »أرض بلا شعبﷺ لشعب بلا أرض«. لقد كان الصهاينة يدركون أن الفلسطينيﷺ يعيشون في فلسطﷺﷺ وأن اليهود اﷺشردين يعيشون في الأراضي التي وللوا فيها. ولكن الرابطة الأبدية بـﷺ الأرض والشعب اليهودي هي التي تجعل من اليهود مجرد مشردين ورحل بلا جذورﷺ على الرغم من وجودهم في أوطانهم في كل أنحاء العالمﷺ وهي التي تنكر وجود الفلسطينيﷺ وتجعل مطالبهم القومية مسألة هاشية.فاضحة. أن أسطورة الحقوق الأبدية لليهودي الخالص في أرض فلسطﷺﷺ التيتفترض هامشية السكان الأصليﷺﷺ هي شكل من أشكال الاعتذارياتﷺ يتسم بدرجة كبيرة من الغموض واللاأخلاقيةﷺ تفوق غموض ولا أخلاقية الاعتذاريات العنصرية التقليديةﷺ التي تنسب التفوق الحضاري للمستغل والتدني الحضاري للمستغل; فالأساطير التقليدية–في نهاية الأمر– تعترف بوجود الغيرﷺ أما الأسطورة الصهيونية الخاصة بالحقوق اليهودية فهي ترفض الاعتراف بوجوده. إن فلسطﷺﷺ الأرض اﷺقدسةﷺ »بلد بلا سكان«)٥٠(ﷺ لأن امتلاك فلسطﷺ ليس من حق السكان الأصليﷺﷺ ولا ﷺكن للبشرﷺ »يهودا كانوا أم عربا«ﷺ أن يتساءلوا عن معنى هذا القرار? لأن »محور مشكلة فلسطﷺ«ﷺ وفقا ﷺا قاله بن جوريون كل »يتلخص في حق اليهود اﷺشتتﷺ فيالعودة«)٥١(ﷺ وهو حق مطلق قائم منذ بداية التاريخ وحتى آخره.145الليبراليﷺ نظرا لأن عنصريتها غير تقليديةﷺ وغير واضحة. ولكن الأهم من هذا هو أن مدى الأسطورة محدودة لأن فعالية الحقوق اليهودية اﷺقدسة لا تنصب على العالم بأسرهﷺ وإﷺا تنصب على فلسطﷺ وحدها. ومن اﷺعروف أن الاعتذاريات العنصرية التقليديةﷺ مثل الأيديولوجيا النازية تقوم على تقسيم جميع الأجناس في العالم إلى »متفوق« و »ذي مكانة دنيا«ﷺ ومن هذا اﷺنظور احتل الساميون والزنوجﷺ أينما وجدواﷺ اﷺكانة الدنياﷺ في حﷺ احتل الآريون)وعلى الأخص التيوتون(اﷺكانة العليا. وﷺا يذكرﷺ أن مجال الإمبريالية الغربية كان عاﷺياﷺ ولذلك فقد تطلب الأمر اعتذاريات تقوم بتبويب عاﷺي للأجناسﷺ يشمل الجنس البشري بأسره. هذا على العكس من الاستعمار الصهيونيﷺ الذي يهدف إلى احتلال فلسطﷺ واﷺناطق المجاورة لهاﷺ ولا يشمل العالم بأسره. لذا لم يكن ثمة ضرورة أن تشمل الاعتذاريات الصهيونية كل الأجناس في كل العالمﷺ وإﷺا انصبت على إقليم واحد هو فلسطﷺﷺ وعلى شعب واحدﷺ هو الشعب الفلسطيني بخاصةﷺ والعرب بعامة. وقد ساهم اﷺدى المحدود لأسطورة الحقوق الأزلية لليهودي الخالص في الأرض اﷺقدسة في إزالة أية توترات بـﷺ الاستعمار الصهيوني والقوى الاستعمارية الكبرى المختلفة في أوروبا. فالصهاينة احتفظوا بالانسجام التام مع هذه القوى لألهم ربطوا حقوقهم الأزلية بقطعة أرض واحدة فحسبﷺ وهو ما يعني علم وجود مجال للتناقض ; فلن ينكمش مسرح الإمبرياليةﷺ العاﷺية إلا ﷺقدار قطعة أرض واحدة. بل إن الصهاينةﷺ كما بينا من قبلﷺ اظهروا أن الدولة الصهيونية لن تستقل بهذه الأرضﷺ وإﷺا ستجد لنفسها مكانا ضمن إحدى الإمبراطوريات الاستعمارية. ولقد حرص هرتزلعل أن يبـﷺ »توازي« اﷺصلحة بـﷺ كل من بريطانيا والصهاينة)٥٢(. ولعل من أصدق الأمثلة على تحقق الانسجام بـﷺ الصهاينة وإحدى القوى الإمبرياليةﷺ التعاون الذي ﷺ بـﷺ النازيﷺ والصهاينة ; فلقد شرع الصهاينة في نقل اليهود خارج الأرض النازية إلى أرض أخرىﷺ وتساهل النازيون في هذا الصددﷺ بل وتعاونوا معهم. فقد جاء في أحد الأوامر النازيةﷺ التي أصدرها البوليس السري البفاري ﷺيونيخ في ١٣ ابريل عام ﷺ١٩٣٥ أن »النشاط الصادق الذي يبذله الصهاينة في مسألة الهجرة تتقابل146الإستعمار الصهيونيفي منتصف الطريق مع نوايا الحكومة النازية فيما يتعلق بأبعاد اليهود عن أﷺانيا«. وقد

Summarized by © lakhasly.com

آمن الصهاينة بدورهم بأن جهود النازي الرامية إلى إيقاف عملية دمج اليهود في المجتمع الأ اني وتهجيرهم إلى فلسط »كن أنيكون حلا عادلا لكل من الجانب« الصهيوني والنازي. وهم كل حق في هذا من بعض النواحي ; فالنازية على سبيل ا ثال لم تكن عنصرية بإزاء الياباني. والصهيونية أيضا في العالم الغربي ليست سوى أيديولوجية سياسية وضعها اليهود من أجل اليهود تخصهم هم وحدهم ولا تتضمن أي ييز ضد أي شخص في الولايات ا تحدة أو إنجلترا. بل لقد دافع بعض الغربي عن الدور الإيجابي البناء الذي تلعبه الصهيونية ب الأمريكي اليهود حيث تزودهم بالشعور بالترابط والانتماء. وقد تكون وجهة النظر هذه سليمة !!)وإن كنا نرى غير ذلك(. فلو أننا نقلنا الصهيونية من أوروبا وأمريكا إلى آسيا مسرحها الحقيقي لأصبح الأمر جد مختلف ; إذ تفصح الصهيونية عن وجها العنصري القبيح و ارس أثرها الهدام على المجتمع الفلسطيني. والتناقض هنا ليس تناقضا ب نظرية و ارسة ولكنه تناقض ب نظرية ونوع من أنواع ا ارسة أحدهما عرضي ومؤقت)في الغرب(والآخر ضروري وجوهري)في آسيا(. وفي تصوري أن الحكم على الصهيونية لا كن أن يتم في لندن أو باريس وإ ا ينبغي أن يحكم عليها في مجال ارستها الأساسي ;الشعب الأ اني. وا يدعو للسخرية أن بعض ا تحدث بلسان حكومة التمييز العنصريبجنوب أفريقيا والذين لا يهتمون بالتجربة الصهيونية العرضية في الغرب قد وضعوا تقو ا واقعيا للتجربة الصهيونية في آسيا.147على أساس عنصري فقال: »إذا كان التفريق خاطئا في الحالة الأولى فهو لا شك خاطئ أيضا في الحالة الثانية«)٥٤(ـأي أن الاعتذاريات مهما بلغت من تركيب ودهاء لا تغير بتاتا من حقيقة ا فرقة العنصرية والحقوق ا قدسة التي تجب فوق الآخرين سواء استندت إلى أساس عنصري أوإلهي أو إثني هي في نهاية الأمر تعد على حقوق الغير.٣- عبء اليهودي الاشتراكي:وإذا كانت الاعتذاريات التي تستند إلى فكرة اليهودي الخالص فريدة وقاصرة على الصهاينة فالاعتذارات التي تستند إلى فكرة اليهودي الاشتراكي قد تكون اكثر فردية وطرافة. فكما أشرنا من قبل انضم كثير من الشباب اليهودي إلى صفوف الحركات الثورية الأمر الذي سبب الحرج الكثير لليهود اندمج. وقد باعت الصهيونية نفسها على أنها الحركة التي ستحول الشباب اليهودي عن طريق الثورة. وظهرت أسطورة الاستيطان العمالية لتحقيق هذا الهدف وتقوم هذه الأسطورة بتسويغ الاستيطان الصهيوني لا باسم التفوق العنصري أو التقدم الحضاري الأزلي أو الحقوق ا قدسة الأزلية بل على أسس »اشتراكية علمية:> إذ تستند الحقوق اليهودية- حسب هذه الأسطورة-إلى ا ثل الاشتراكية العليا)ا في ذلك نبل العمل اليهودي وكذلك إلى تفوق الصهاينة العلمي والتكنولوجي والى أنهم حملة التقدم للشعوب ا تخلفة. ولم يكن هذا ا نطق قاصرا ا اما على الصهاينة فثمة اتجاه داخل الحركة الاشتراكية الغربية يطلق عليه اصطلاح »الاشتراكية الإمبريالية« التي تضم أولئك الاشتراكي الذين وجدوا أن من المحتم عليهم باسم التقدم والأ اية وتأييد الإمبريالية الغربية لألها تعبير عن الرأسمالية الغربية أعلى مراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي بلغه الإنسان وكانوا يرون أن الإمبريالية بغزوها آسيا وأفريقيا ستقضي على كل المجتمعات التقليدية فيها كما ستقضي أيضا على التخلف وستجلب الصناعة والتقدم لها. ومن هذا انطلق شجع بعض أتباع سان سيمون الاستعمار الاستيطاني في الجزائر كما دافع كثير من الاشتراكي الهولندي عن »هجمة« بلادهم الحضارية على الإندونيسي. وقد خرجت أسطورة الصهيونية العمالية من هذه المجموعة من الأفكار148الإستعمار الصهيونيفلم يكن ا ستوطنون الصهاينة مجرد يهود فحسب بل كانوا أيضا رواد: زراعي اشتراكي حراث أرض أجدادهم. وقد كتب الفيلسوف الصهيوني الأ اني الأصل مارتن بوبر)١٨٧٨-١٩٦٥(لغاندي يقول: »إن مستوطنينا لم يجيئوا إلى فلسط كما يفعل ا ستعمرون الغربيون الذين يطلبون من أهالي البلاد أن يقوموا بكل الأعمال لهم بل انهم يشدون بأكتافهم المحراث و يبذلون قوتهم ودمهم من أجل أن تصبح الأرض مثمرة«. وقد عاد ا ستوطنون العبريون الجدد إلى الأرض مثقل اضي يهود الشتات بكل ما فيه من شذوذ وطفيلية. وتقول النظرية العمالية الصهيونية إنه من خلال العمل العبري كن للمستوطن الجديد أن يطهر نفسه ا علق بها من شوائب وأدران ; فا ستوطنون إ ا يحررون أنفسهم ح يحررون الأرض بحرثها والعمل على ازدهارها; »إن هذه الأرض تعترف بنا لألها تثمر من خلالنا«)٥٥(ولقد صيغت الرسالة بأكملها بأسلوب يتسم بالبراءة ا تناهية وبالأبعاد الكونية حتى لتجعل ا رء الذي يقرؤها يشعر بارتفاع هائل عنوياته.ا زعجة. ولقد نقل أموس آلون الكاتب الإسرائيلي سطرا من أغنية جذابة كانالرواد الزراعيون يرددونها في ا ستوطنات الإسرائيلية يصفون أنفسهم فيها بأنهم أول من وصل »مثل العصافير في الربيع« إلى الحقول ا لتهبة والأرض ا قفرة الجرداء.)٥٦(وهذه البراءة الكونية وهذا الإ ان بقدرة العمل على الشفاه والتطهير وهذا الالتزام بدأ ا ساواة تظهر كلها في كلمات بن جوريون الذي تحدث عن مدى أحقية الإنسان في أرض ما فهذا الحق لا

Summarized by © lakhasly.com

ينبثق عن سلطة سياسية أو سلطة قضائية)فكل هذه الأمور ليست ذات موضوع من وجهة نظر صهيونية عمالية(وإ ا ينبثق عن العمل. ثم أطلق بن جوريون شعارا ثوريا أحمر لا بد أنه لاقى هوى في القلوب الثورية البريئة: »إن ا لكية الحقيقية والدائمة هي للعمال«)٥٧(بيد أن نقل ا فاهيم من مستواها وسيأتها إلى مستوى وسياق آخرين يسفر عن نتائج مختلفة.149وقد علق. الكاتب الإسرائيلي آموس كنان على هذا النوع من الاعتذاريات الاشتراكية قائلا: إن الصهيونية لم تك تستطيع تحقيق انتصاراتها وإنجازاتها دون الاستفادة من النفاق الذي تنطوي عليه هذه الاشتراكية فكما أن ا سيحية ثلها ومثالياتها كانت ثابة عذر معنوي للصليبيين فإن الاشتراكية ثلها ومثالياتها أدت هذه ا همة للصهاينة.٥٨(وإذا نظرنا للجانب الآخر لأسطورة عبء اليهودي الاشتراكي وهو تفوق الصهاينة التكنولوجي)وليس العرقي(الذي سيجعل منهم رسلا للتقدم يقومون بتطوير المجتمع ودفعه من ا رحلة الدنيا التقليدية إلى ا رحلة العليا الحديثة فإننا نجد أن كتابات الصهاينة تزخر بها. وقد اقتبسنا بعضا من كتابات بن جوريون)الصهيوني الاشتراكي(وآخرين في دفاعهمعن الاستعمار الصهيوني على أنه ثل للحضارة الغربية. ولا شك أن ا ستوطن الصهاينة كانوا عارف بالتكنولوجيا و برسائل التنظيم والقيم السياسية ا عاصرة وأنهم كانوا جماعة معاصرة فعلا وأنهم نقلوا قيمهم ومؤسساتهم ا عاصرة إلى الوطن الجديد فنظموا النقابات العمالية والأحزاب السياسية وأجروا الانتخابات على أساس صوت واحد لكل ناخب بل إنهم مارسوا أحيانا أشكالا من الاشتراكية من حيث عدالة توزيع الدخل أو الإ ان بأهمية العمل اليدوي ومساواته بالعمل الفكري ولكن كل هذه الأشكال ا عاصرة من التنظيم وهذه القيم الد وقراطية والاشتراكية ظلت قاصرة على الصهاينة وحدهم تطبق على مجتمعهم الصغير)ا يكرو(وليس على المجتمع كله.القومية(. وقد بذل ا ستوطنون قصارى جهدهم في أن يبقوا السكان الأصلي في مستوى حضاري متخلف وأن نعوهم من تنظيم أنفسهم داخل أطر معاصرة)نقابات عمال ـ أحزاب سياسية(وفضلوا التعامل معهم داخل أطر150المجتمع التقليدي وتنظيماته. ولذا فقد فضلوا التعامل مع كبار ا لاك وزعماء العشائر. وقد رفض الهستدروت)اتحاد عمال ا ستوطن الصهاينة(السماح للعمال العرب بالانتظام في صفوفه إلا في مرحلة متأخرة كما أن الدولة الصهيونية العصرية الد وقراطية ترفض الاعتراف بحق تقرير ا صير للسكان الأصلي أو حق اشتراكهم في النظام السياسي الصهيوني الجديد عن طريق تكوين الأحزاب والاشتراك في الانتخابات. وهي ترفض أيضا الأيديولوجية العلمانية أساسا لتشكيل دولة تضم كلا من العنصر السكانيالدخيل والعنصر الأصلي على قدم ا ساواة. وإلى جانب هذا فهناك الحقيقة الأساسية وهي أن جماعة ا ستوطن الغزاة تسرق من السكان الأصلي أرضهم أي تسرق منهم الأساس ا ادي لأي تقدم وتهدم ط حياتهم الإطار الاجتماعي الذي تتحقق من خلاله ذواتهم التاريخية. ولذا تتغير الأولويات و يصبح واجب ا واطن الأصلي الجزائري أو الفلسطيني هو البقاء وليس التقدم ولعل هذا هو الذي يفسر سر رفض موسى العلمي لكلمات بن جوريون »الحلوة العذبة« ح تقابلا عام ١٩٣٦ في منزل موشى شاريت. فطبقا ا جاء على لسان بن جوريون بدأ الحديث بترديد النغمة)القد ة(التي أعدها »عن ا ستنقعات التي يجري تجفيفها والصحاري التي تزدهر بالخضرة والرخاء الذي سيعم الجميع«ولكن العربي قاطعه قائلا: »اسمع ! اسمع يا خواجه بن جوريون إنني أفضل أن تظل الأرض هنا جرداء مقفرة ائة عام أخرى أو ألف عام أخرى إلى أن نستطيع نحن استصلاحها ونأتي لها بالخلاص«. ولم يسع بن جوربون إلا أن يعلق بأن العربي كان يقول الحقيقة وأن كلماتهو بدت مضحكة وجوفاء اكثر من أي وقت مضى.)٥٩(إن الاعتذاريات الصهيونية مهما بلغت من ذكاء ودهاء ومهما غلفت151

Summarized by © lakhasly.com